خـــــارج الحـــــدود

ضد من يتسلّحون ؟

■ حازم مبيضين

تثير صفقات التسلح الضخمة التي تبرمها دول مجلس التعاون الخليجي أكثر من تساؤل عن الأسباب الدافعة لها في ظل عدم وضوح الجهة المعادية التي تستدعي تكديس كل هذا السلاح والعتاد، وإضافة الى التساؤلات فإنها تثير أيضاً المخاوف والقلق، عند دول الجوار كافة بما فيها تركيا التي أبدت مؤخراً قلقها إزاء تلك العقود ومعظمها مع شركات أميركية، وعلى أساس أنّ هذا التسلح الذي يتم برضى وموافقة الإدارة الأميركية يستهدف إيران، وليس سواها وهو يأتي في إطار العداء المذهبي بين دول الخليج السنية، والثورة الإسلامية "الشيعية" في بلاد فارس، وبين إيران كدولة تنتمي لمحور الشر وبين الغرب الطامح لعدم رؤيتها تمتلك أسلحة نووية تهدد أمن العالم أو تعبث به.

معروف أن ما يزيد على ١٢٠ مليار دولار، رصدت في دول الخليج مؤخراً لشراء أسلحة أمريكية في واحدة من أكبر عمليات التسلح في وقت السلم، وفي هذا الإطار تناقلت الأنباء أن السعودية تعاقدت على أسلحة بمبلغ يصل إلى حوالي السبعين مليار دولار في أكبر صفقة منفردة لبيع أسلحة تقوم بها أميركا، ولا يتوقف الأمر عند المملكة النفطية وهي الدولة الأكبر من دول مجلس التعاون الخليجي، وإنما يمتد إلى دول أخرى مثل: الكويت والإمارات و عمان التي أبرمت صفقات لشراء وتحسين قدرتها العسكرية، فيما يوصف بأنه جزء من ستراتيجية تقوية حلفاء أمريكا العرب في مواجهة إيران وبرنامجها النووي المثير للجدل، وفي هذا الإطار يجري الحديث عن مفاوضات تجريها السعودية لتزويدها بسفن حربية وأنظمة دفاع مضادة للصواريخ بعشرات مليارات الدولارات.

والسؤال المطروح أين يقف العراق الذي فقد ترسانته وهو يعتبر صديقاً لإيران والأميركيين في آن معاً، ويشعر بأن السعودية لا تكن لقيادته الجديدة وداً بشكل واضح ويصل به الأمر الى اتهامها بدعم أشكال من التمرد تستهدف أمن حكام العراق الجدد، وذلك على الرغم من ارتياح منظومة الدول الخليجية بعد التخلص من نظام البعث الصدامي الذي كان يسبب لها صداعاً بأفكاره (القومجية) وبزعم تصديه لقيادة الأمة، مؤكد أن بغداد تستشعر بعض القلق، لكنها تعرف اليوم أكثر من أي وقت مضى أن حليفها في واشنطن لن يسمح لأي من دول المنطقة العبث بالتجربة الديمقراطية التي يرعاها في بلاد الرافدين لتكون نموذجاً لكل دول المنطقة التي يضع بعض قادتها أيديهم على قلوبهم بانتظار نتائج تلك التجربة التي نؤكد أنهم لا يتمنون لها النجاح.

إسرائيل بالتأكيد لا تشعر بالقلق ولا تصاب بالتوتر بعد صفقات التسلح الخليجية لثقتها بالتزام تلك الدول قبل غيرها بمبادرة السلام العربية، لكن أنقره تشعر بذلك جراء مخاوفها من إمكانية اندلاع نزاع مسلح بين الغرب وبعض العرب من جهة، وإيران من جهة أخرى، رغم توقع بعض الساسة الأتراك عدم قيام واشنطن بتوجيه ضربة عسكرية قريبة لإيران، لأنّ الرئيس الأمريكي الديمقراطي أذكى من أن يورّط نفسه بجبهة عسكرية جديدة عشية الانتخابات النصفية للكونجرس، ولا يعني القلق التركي أن حكام أنقره ينظرون إلى سباق التسلح هذا على أنه تهديد مباشر لتركيا، التي نستبعد إطلاقها حملة تسلح مضادة في المدى المنظور. لكن تعاظم الترسانة السعودية قد يدفع تركيا للقيام بصفقات حربية كبيرة خلال السنوات العشر المقبلة.

المؤكد أن سباق التسلح المتنامي في دول الخليج هو الجواب المباشر على المشروع النووي الإيراني، وهو تسلح يبدو في بعض جوانبه سياسياً وفي جوانب أخرى يرتدي عباءة المذهبية، خصوصاً أن مسؤولين إيرانيين هددوا أكثر من مرة بقصف دول الخليج وأن تدفع منطقة الشرق الأوسط بأكملها الثمن الباهظ إذا هاجمت أميركا منشآتها النووية، ولان حكام طهران يتطلعون لوضع يدهم على منطقة الخليج، لقناعتهم أن السيطرة على الخليج تعني السيطرة على العالم.

ملف المدى

الولايات المتحدة تسمّيه "العربي" بعد عقود من الحياد

اسم الخليج .. جدل عربي إيراني لا ينتهي .. والكل يدّعي الحقيقة في ما يذهب إليه !

■اعد الملف / جمال القيسي

الغارديان البريطانية: الموقف الأميركي ليس مصادفة ولا "زلّة" لسان !

نشرت صحيفة الغارديان البريطانيّة تعليقا للكاتب براين ويتايكر على تداعيات الموقف الامريكي الجديد من تسمية الخليج بالعربي بدلا من الفارسي قال فيه : إنّ تسمية "الخليج الفارسي" تعود الى زمن المؤرخين اليونانيين سترابو (Strabo) وبطليموس (Ptolemy). وظل الاسم متداولا حتى الأزمنة الحديثة. ومنذ مطلع الستينيات، ارتبطت التسمية بصعود الحركة القوميّة. وبدأت الدول الواقعة على ضفاف الخليج بتسميته "الخليج العربي".

ويضيف ويتايكر إنه يمكن النظر الى هذه العبارة منفردة على انها زلة لسان رغم ان شابيرو بدا وكأنه يقرأ من نص مُعد سلفا. ويضيف متسائلا "بما ان مصطلح (الشرق الأوسط الأوسع) يشمل بداهة الكتلة المائية المتنازع على اسمها فأين الضرورة في ذكر الخليج (الفارسي أو سواه) أصلا ، مشيرا الى إنّ الاختلاف على التسمية أشبه بمأزق للصحافيين الذين يكتبون عن المنطقة، حيث يتجنّب بعضهم الظهور وكأنّهم منحازون، فيفضلون الاكتفاء بتسميته "الخليج" على افتراض أنّ القارئ سيستنتج من السياق أنّ التقرير يتحدّث ولا يقصد خليج المكسيك.

ويشبه ويتايكر التجاذب بين العرب والإيرانيين حول تسمية الخليج بالجدل نفسه حول الممر المائي بين انكلترا وفرنسا، والمعروف رسميا بتسميتين: القنال الانكليزي على إحدى ضفتيه والمانش على الضفة الأخرى ، ويبدو الإصرار على صفة الانكليزي استفزازا غير ضروري. ومن أجل الحفاظ على علاقات المودة والوئام مع فرنسا يُفضل الاكتفاء بتسميته "القنال" فحسب.

ويشير ويتايكر الى حقيقة مهمة مفادها ان اتخاذ موقف الحياد لا يرضي الايرانيين حين يتعلق الأمر بالخليج الفارسي/العربي. فهم يتحسسون من المسألة حتى ان نسخا من مجلة الايكونومست مُنعت عام ٢٠٠٦ من التوزيع في ايران عندما اسقطت المجلة صفة "الفارسي" من الخليج. كما قدمت احتجاجات دبلوماسية عندما شطب متحف اللوفر في باريس صفة "الفارسية" لدى ذكر الخليج في دليل المتحف. ويختم تعليقه بالقول إنّه في غياب أي إيضاح من وزارة الخارجية، لا يمكن إلا التكهن بالسبب الذي اصبح معه فجأة "الخليج العربي". ولعل المنطق يفسّر ذلك بأنّه التفاتة أميركيّة محسوبة لإزعاج إيران!

وفيما يرى مراقبون إنّ الخلاف حول المصطلح يعبّر عن هوّة بين دول الخليج العربية وايران في طريقة عرض الخليج لنفسه ، فإنهم يذهبون إلى ان تكرار الأمريكيين وصف الخليج العربي ينفي الصدفة او احتمالية " زلة " اللسان ، بالتالي لا يمكن ان يكون مجرّد مصادفة أن تنطق الخارجيّة الأميركيّة بالعبارة الأبغض على قلوب الإيرانيين مرتين، إنما الأرجح أنّ هذا التكرار يوحي بحدوث تغير في السياسة الأميركيّة التي تعتمد تسمية "الخليج الفارسي" منذ عام ١٩٧١.

المدى في ملفها اليوم تستعرض حيثيات هذا النزاع الطويل على تسمية الخليج بين العرب والإيرانيين وتعرض لوجهة نظر كليهما ، إضافة الى عرض الخلفيات السياسية والتاريخية والعلمية في هذه القضية التي ما إن تهدأ لزمن معين حتى تعود من جديد الى الواجهة .

لإيـــران وجهـة نـظـر فـي القـضـيـة

عندما أعلنت مؤسسة ناشيونال جيوغرافيك عن كتابة اسم الخليج العربي إلى جانب الخليج الفارسي، في أطلسها الجديد، وأشارت إلى الخلاف على الجزر الثلاث بين إيران ودولة الإمارات العربية واعتبرت (ان طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى محتلة من إيران وتطالب الإمارات العربية بالسيادة عليها) غضب القوميون الفرس، واتهموا المؤسسة بتلقي الرشاوى، واتهموها كذلك بأنها (بتأثير من اللوبي الصهيوني، وبدولارات النفط من بعض الحكومات العربية قررت تشويه واقع تاريخي لا يمكن نكرانه)، مع أن إسرائيل تستعمل مصطلح (الخليج الفارسي) .

واعتبر المسؤولون الإيرانيون ذلك (مؤامرة صهيونية لشق صفوف المسلمين)، فبادرت الحكومة الإيرانية إلى اتخاذ إجراءات تمنع بموجبها الجمعية الوطنية للجغرافيا من بيع مطبوعاتها وخرائطها في إيران ، كما منع أي مندوب من قبلها بدخول الأراضي الإيرانية.

كما دعا رئيس البرلمان الإيراني كل من اسماهم (عبادة الوطن) للدفاع عن فارسية الخليج. كما أجمع المعارضة الإيرانية بمختلف أطيافهم عن أن الخليج فارسي، وعبثاً حاولت الجمعية العربي) إلى الخليج الفارسي، بأن هناك من يعرّف الذراع البحرية بالخليج العربي، ولا بد من التفريق بينها وبين بحر العرب القريب منها والواقع بين مضيق هرمز والمحيط الهندي.

حجج العرب في إطلاق اسم العربي على الخليج

يرى أغلب العرب حاليا أن اسم (الخليج العربي) تاريخي وقديم، وأنه مبرر لأن ثلثي سواحل الخليج تقع في بلدان عربية، بينما تطل إيران على حوالي الثلث، وأنه حتى السواحل الإيرانية تقطنها قبائل عربية سواء في الشمال (إقليم الأهواز) أو في الجنوب (السواحل إلى الشرق من بندر عباس، حيث كانت دولة القواسم مسيطرة على تلك البلاد حتى ضمتها إيران)، وبالتالي فمن الأولى تسمية الخليج وفق الشعب الذي يعيش حوله.

لذلك يقول الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (معجم المناهي اللفظية) : (الخليج الفارسي: هذه التسمية باطلة تاريخيا ، فكيف يكون الخليج الفارسي وكل ما يحيط به أرض عربية من لحمة جزيرة العرب وسكان عرب خلص؟ فلنقل: الخليج العربي). وكتب في الخليج : أغاليط المؤرخين لأبي اليسر عابدين ص٢٦٤، الحاشية.

(وفي الواقع فإن الفرس لم يكونوا يركبون البحر، حتى في أوج عظمتهم ، وإذا ما أنشأوا في الخليج أسطولاً، كان بحارته من غير الفرس ، اما الدكتور صلاح العقاد فيقول : (أما الساحل الشمالي الشرقي الذي يكوّن الآن الساحل الإيراني، فيمتد على طوله نحو ألفي كيلومتر: سلسلة عالية من الجبال الصعبة المنافذ إلى الداخل، مما عزل سكان الفرس والسلطة المركزية فيها عن حياة البحر. ولقد اشتهر الفرس منذ غابر الزمن بخوفهم من حياة البحار) حتى قال بعض مؤرخي العرب: (ليس من الخليج شيء فارسي إلا اسمه) . وعلى ذلك فإن ذيوع اسم (الخليج العربي الآن قد جاء موافقا لحقيقة جغرافية ثابتة) .. فيما قامت بينه وبين العرب أوثق الصلات قبل الإسلام وبعده. ويؤكد هذا سير برسي سايكس Sykes: (إن السياسة البحرية التي كان يتبعها نادر شاه الأفشار هي ضد تأثير العوامل الطبيعية التي جعلت ميول الناس وسلوكهم في إيران تفضل النفور والكره دائما من ركوب البحر الذي تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة).

هكذا اشتعلت القضية من جديد!

أثار قيام مساعدين لوزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون وفي ظرف أيام معدودة من الشهر الجاري بتكرار تسمية "الخليج العربي" جدلا واسعا في الأوساط العربية والإيرانية حيث رحبت الأولى بالموقف الأمريكي الجديد ، بينما انتقدت الثانية وبشدة هذا الأمر .

فبعد فترة طويلة من اعتماد الولايات المتحدة تسمية الخليج الفارسي ظهر اندرو شابيرو مساعد وزيرة الخارجية الاميركية خلال إيجاز صحافيّ في ٢٠ تشرين الأول الجاري، بالعبارة الاصعب على الإيرانيين، حيث أشار تعليقًا على صفقة الأسلحة مع السعوديّة إلى "الخليج العربي والشرق الأوسط الأوسع".

ثم تكرّرت تسمية "الخليج العربي" على لسان كورت كامبل ، المساعد الآخر لوزيرة الخارجية، والذي يبدو أنّه كان غافلا عن الاحتجاج على تسمية "الخليج العربي" عندما تحدث في إيجاز صحافي آخر يوم الثلاثاء الماضي ، واستخدم هو ايضا التسمية نفسها عندما أشار الى "قضايا قرصنة في الخليج العربي" .

ومن الجدير بالاشارة انه على المستوى الرسمي، تعترف الأمم المتحدة وهيئات دولية مختلفة بتسمية "الخليج الفارسي"، بوصفها التسمية المستندة – افتراضًا- إلى الاستخدام التاريخي للاسم ، ولطالما اعتمدت الولايات المتحدة الأميركيّة تسمية الخليج الفارسي رسميا، إلا أنّ ذلك تغيّر الأسبوع الماضي .

أســمــاء تـاريـخـيـة عـديـدة للـخـلـيـج

هناك خريطة فرنسية قديمة (١٦٦٧) يظهر فيها بوضوح إشارتها إلى الخليج العربي بأنه Sein Arabique ، أي (الخليج العربي) وسمي (بحر بلاد الكلدان) في الألف الأول قبل الميلاد ، ثم أصبح اسمه (بحر الجنوب) خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.

وسماه الآشوريون والبابليون والأكاديون: (البحر الجنوبي) او (البحر السفلي) lower (sea) ويقابله البحر العلوي (upper sea) وهو البحر الأبيض المتوسط ، كما أطلق عليه الآشوريون نارمرتو أي (البحر المر).

وسماه الفرس (بحر فارس) وذكر أن التسمية عرفت في أول الأمر من قبل الملك الفارسي داريوش الأول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) في كلامه (على البحر الذي يربط بين مصر وفارس). والراجح أن الاسكندر الأكبر هو أول من أطلق تلك التسمية بعد رحلة موفده أمير البحر نيارکوس عام ٣٢٦ ق.م وقد عاد من الهند بأسطوله بمحاذاة الساحل الفارسي فلم يتعرف إلى الجانب العربي من الخليج، مما دعا الاسكندر إلى أن يطلق على الخليج ذاك الاسم، وبقي متداولاً بطريق التوارث، وعن طريق اليونان تسربت التسمية للغرب واستعملها بعض العرب (أحياناً باسم الخليج الفارسي) كذلك حتى منتصف القرن العشرين ..

أما الرومان فقد أسموه (الخليج العربي) ، وممن أطلق تلك التسمية المؤرخ الروماني بليني Pliny the Younger في القرن الأول للميلاد .

أما العرب فسموه (خليج البصرة) أو (خليج عمان) أو (خليج البحرين) أو (خليج القطيف) لأن هذه المدن الثلاث كانت تتخذه منطلقاً للسفن التي تمخر عبابه وتسيطر على مياهه ، ويعود اسم (بحر البصرة) إلى فترة الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ونجد النحويين الأوائل يستعملونه، مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي ١٦٠هـ) كما استعمله الجغرافيون مثل ياقوت الحموي والمؤرخون مثل خليفة بن خياط والذهبي، وعلماء الدين مثل ابن تيمية ، وإن كان اسم (بحر فارس)، شائعاً كذلك في العصر الإسلامي، خاصة بين المسلمين الفرس ، حتى أن البعض قد يستعمل الاسمين معاً في نفس الصفحة.

كما أسماه بعض العرب أثناء الخلافة العباسية (خليج العراق) لكن تسمية الخليج العربي بقيت مستعملة، كما سماه العثمانيون (خليج البصرة) (بصرة كورتري).

باحثون غربيون: أكثر سكان سواحل الخليج عرب

هناك خريطة قديمة (سنة ١٦٦٧) يظهر فيها بوضوح إشارتها إلى الخليج العربي بأنه Sein Arabique أي (الخليج العربي) ، وقد بدأ بعض الباحثين الغربيين يتخلون عن التسمية الفارسية للخليج ، ومن هؤلاء المؤرخ الإنجليزي رودريك أوين الذي زار الخليج العربي واصدر عنه سنة ١٩٥٧ كتابا بعنوان (الفقاعة الذهبية – وثائق الخليج العربي)، وقد روى فيه أنه زار الخليج العربي وهو يعتقد بأنه خليج فارسي لأنه لم ير على الخرائط الجغرافية سوى هذا الاسم ، ولكنه ما كاد يتعرف إليه عن كثب حتى أيقن بأن الأصح تسميته (الخليج العربي) لأن أكثر سكان سواحله من العرب. وقال: (إن الحقيقة والإنصاف يقتضيان بتسميته الخليج العربي) وكذلك أكد الكاتب الفرنسي جان جاك بيربي (بالفرنسية: Jean Jacques Berreby) عروبة الخليج في كتابه الذي تناول فيه أحداث المنطقة وأهميتها الستراتيجية، حيث يقول: (يؤلّف القسم الذي تغسله مياه نهر كارون من إقليم الأهواز مع القسم الأسفل من بلاد ما بين النهرين وحدة جغرافية واقتصادية... إن إقليم الأهواز هي طرف الهلال الخصيب الذي يبدأ عند السهول الفلسطينية وينتهي عندها مارّاً بلبنان وسوريا والعراق)

كما كتب جون بيير فينون أستاذ المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية في باريس في كانون الثاني ١٩٩٠ دراسة في مجلة اللوموند الفرنسية حول الخليج تؤكد تسميه الخليج بالعربي. فقامت السفارة الإيرانية بالاحتجاج وأقعدتها. وكتبت رداً على بيير. فرد هو أيضاً رداً مدعماً بالحجج العلمية، وقدم خارطة لوكانور التي يرجع تاريخها إلى نهاية القرن السادس عشر والتي تحمل التسمية اللاتينية سينوس ارابيكوس أي (البحر العربي) وقال: (لقد عثرت على أكثر من وثيقة وخارطة في المكتبة الوطنية في باريس تثبت بصورة قاطعة تسمية الخليج العربي، وجميعها تعارض وجهة النظر الإيرانية)

و أكد الكاتب وجهة نظره في ما تضمنته خارطة جوهين سبيد التي نشرت عام ١٩٥٦ تحت اسم الإمبراطورية التركية حيث ورد في الخريطة تسمية (بحر القطيف) ثم (الخليج العربي) وقد دحض جون بيير (Jean-Pierre) مزاعم الإيرانيين، وأكد أن تسمية (الخليج الفارسي) الشائعة حديثاً بين الجغرافيين الأوربيين جاءت نتيجة توجه سبق، وابتدعته الدول الاستعمارية خاصة إيطاليا.

ولهذا فإن العديد من الأطالس والمراجع الجغرافية الأوروبية (مثل موسوعة أونيفرساليس هاشيت ومعظم الموسوعات الأوروبية) بدأت منذ النصف الثاني من القرن العشرين باستخدام التعبير العلمي التاريخي – الجغرافي المتوازن وهو (الخليج العربي – الفارسي). وقامت (الجمعية الوطنية للجغرافيا) التي تصدر مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) وهي المرجع الرئيسي للجغرافيا في الولايات المتحدة، بوضع اسم الخليج العربي تحت اسم الخليج الفارسي. في حين فضلت بعض الجامعات والمنظمات الغربية (مثل: Times Atlas of the World ومتحف اللوفر استعمال تعبير (الخليج) (The Gulf) بدون ذكر كلمة عربي أو فارسي ..

ويرى الكاتب الفرنسي ميشال فوشيه Michel Foucher في كتابه (تخوم وحدود) (Fronts et Frontieres) أن الخليج الذي سمي الخليج الفارسي بسبب النفوذ القوي والتاريخي لإيران، وجد دعماً من الستراتيجية الأميركية (زمن الشاه) القائمة على دعم الشاه وجيشه لتحقيق الأمن الإقليمي في حماية النفط ، ويؤكد ذلك نبيل خليفة، كاتب لبناني في الشؤون الستراتيجية، في صحيفة دار الحياة في ١٤ آب ٢٠٠٥ : (ليس الخلاف بين العرب والإيرانيين مجرد خلاف لفظي/اسمي. وإنما هو خلاف يعكس صراعاً سياسياً وقومياً ذا أبعاد ومضامين ستراتيجية، خلاصتها :من له الهيمنة على الخليج، على مياهه وجزره ونفطه ومواقعه الستراتيجية وأمنه وثرواته سيكون له شأن في السياسة الدولية.